

## أمريكا.. إلى أين؟

### ١ - طيش القوة

سؤال يرود المستقبل. والإجابة عنه ليست يسيرة. لأن العقلية الأمريكية اليوم تعيش حالة من السكر وعدم الاتزان اللذين يؤديان إلى اتخاذ قرارات غريبة حتى على منطلق المصالح والسياسات الاستعمارية وأساليب المداورة والتمويه التي مارستها من قبل دول ذات سابقة عريقة في الاستعمار، كبريطانيا مثلا. فالأمريكيون في عهد بوش يشعرون أنهم ليسوا بحاجة إلى التستر حول أغراضهم وخططهم كما كان الجيل السابق من الدول الاستعمارية يفعل. لقد دخلوا القرن الحادي والعشرين مفعمين بالإحساس بالتفرد بالساحة الدولية بعد سقوط القطب الآخر الذي نافسهم على النفوذ طوال نصف قرن، وافتتوا كثيرا بما ملكوا من آلات ومخترعات ومعارف تكنولوجية تمكنهم من زيادة الفضاء ونشر الأقمار الاصطناعية للتجسس على كل شيء في العالم ولوضعه تحت رحمة حرب النجوم، فشاعت فيهم خلال العقد الأخير حالة يشعرون معها عموما أن أقدامهم في السماء وأن هيمنتهم على المستقبل البشري بما يعنيه ذلك من سيطرة سياسية وعسكرية وعلمية وثقافية هي بديهية لا تحتاج إلا إلى بعض التدابير البسيطة لتصبح في مصاف المسلمات المطلقة عالميا. ولا بد أن ذلك ما قصده الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون عندما قال في مناسبة عامة أثناء ولايته الثانية: " هذا عصرنا فلننشئه "

ولكن غرور القوة ليس العنصر الوحيد في هذا الطيش الذي يثير كراهية الآخرين في العالم بأسره. فالولايات المتحدة حالة فريدة من حيث كونها، في آن واحد، كيانا يملك المؤهلات للسيطرة على العالم الخارجي، ولكنه يعيش تحت سيطرة داخلية تصادر استقلاله. وتلك هي سيطرة اللوبي الصهيوني الذي أصبح حكومة خفية داخل الدولة. والذي برهن أمام الجميع، لا سيما الذين يعيشون في منطقتنا، أنه أقوى نفوذا وأطول ديمومة وأكثر معرفة بأهدافه من أية مؤسسة وأية شخصية أمريكية، بمن في ذلك رئيس أمريكا، الذي يصعر خذه لجميع الناس ويمشي في الأرض مرحا ولكنه يطأ طيء الرأس ويستخذي أمام أصغر ولد من أولاد الأقلية اليهودية في نيويورك.

في الأسبوع الماضي، على سبيل المثال، قال أحد مساعدي توني بليز إن رئيس الوزراء البريطاني الذي هو أوثق حلفاء جورج بوش يريد أن يعرف أكثر عن الماهية الحقيقية لأهداف الإدارة الأمريكية. وجاء ذلك بعد أن نقلت الصحف تسريبات من حديث الرئيس بوش أمام محافل صهيونية، تهجم فيها على دول عربية معدودة من أصدقاء الولايات المتحدة. وفي الأسبوع ذاته صرح كينيث كاتزمان الخبير الرئيسي في (مصلحة أبحاث الكونغرس) إن " التفكير في الإدارة يتجه في الواقع إلى فكرة تعزيز الديمقراطية وتغيير الأنظمة (!) وإصلاح شامل للعالم العربي والإسلامي بدلا من التعامل معه كما هو (!) ". وذلك كله يعيد إلى الذهن الكلام الذي سبق أن خاطب به جورج تينيت الرئيس ياسر عرفات أثناء محادثات كامب ديفيد في شهر آب أغسطس عام ٢٠٠٠، حين قال له: الشرق الأوسط بشعوبه وحدوده قابل للتغيير.. وستجد نفسك (إن لم تدعن) معزولا وسط بحيرة من الدماء.

لكن الإفصاح عن أهداف السياسة الأمريكية على النحو الأخير يعني أن تدبير الانقلابات ضد الأنظمة العربية، حتى التي سبق وصفها بالاعتدال، خرج من دائرة المخططات المكتومة في الأجهزة الاستخبارية، إلى دائرة المطبخ السياسي الواسع وإلى دائرة الإعلام العلني.

إنها نوايا ومخططات جنونية تلعب بالنار. ويبدو أن الأوروبيين الذين امتثلوا حتى الآن لقرارات السياسة الأمريكية بقمع انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني وبإملاء الشروط على العراق يدركون حماقة المشروعات الأوسع للسياسة الأمريكية القاضية بشن حروب متلاحقة على المنطقة العربية والإسلامية. فذلك في تقديرهم يفتح الأبواب على احتمالات الفوضى والعنف الشامل لا الإصلاح الشامل في هذه المنطقة الحساسة من العالم التي تهتم المصالح الأوروبية بقدر ما تهتم المصالح الأمريكية. والأوروبيون الذين هم أوثق حلفاء الأمريكيين سيحاولون طبعاً أن (يعقلنوا ويؤنسوا) الوحش المنفلت من عقاله، ولكن اللوبي الصهيوني والإسرائيلي لن يتوقف عن جر الأمريكيين إلى حرب تلو حرب، لاستنزاف العرب والمسلمين بتسخير القوة الأمريكية الجبارة

التي يجب أن تكون وظيفتها الأولى حسب تفكيرهم تهيئة الظروف الملائمة لإقامة إسرائيل الكبرى.

